الإصلاح السياسي عند المفكر علي سعاوي١٨٣٩ – ١٨٧٨

الأستاذ المساعد الدكتور عمار محمد كاظم فرج
جامعة البصرة/ كلية التربية للبنات/قسم التاريخ

الملخص:-

ما زال التاريخ العثماني يحوي بين سطوره شخصيات ونخب لم تدرس أو تبحث بشكل مستفيض , على الرغم من انها تعد من بين أهم الذين نادوا وتحديداً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بضرورة إصلاح الدولة العثمانية اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً بالطريقة والأسلوب التي يؤمن بها كل واحد منهم بأنها الأفضل مع الحفاظ على الكيان السياسي ممثلاً بالسلطان .

ومن الجدير بالملاحظة , ان ظهور هذه النخب قد تزامن مع حركة الإصلاح التي شهدتها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر, لهذا كانوا مندفعين ومتمسكين بإعادة هيبة دولتهم ومكانتها على الصعيد الخارجي , فأطلق على هذه المجموعة بـ (الشباب العثمانيين الجدد) , ومنهم الشخصية التي هي موضوعة البحث المفكر (علي سعاوي).

المقدمة:-

ما زال التاريخ العثماني يحوي بين سطوره شخصيات ونخب لم تدرس أو تبحث بشكل مستفيض , على الرغم من انها تعد من بين أهم الذين نادوا وتحديداً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بضرورة إصلاح الدولة العثمانية اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً بالطريقة والأسلوب التي يؤمن بها كل واحد منهم بأنها الأفضل مع الحفاظ على الكيان السياسي ممثلاً بالسلطان .

ومن الجدير بالملاحظة , ان ظهور هذه النخب قد تزامن مع حركة الإصلاح التي شهدتها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر , لهذا كانوا مندفعين ومتمسكين بإعادة هيبة دولتهم ومكانتها على الصعيد الخارجي , فأطلق على هذه المجموعة بـ (الشباب العثمانيين الجدد) , ومنهم الشخصية التي هي موضوعة البحث المفكر (علي سعاوي)[*] .

ان القاسم المشترك الذي يجمع بين هذه المجموعة من الشباب ومنهم علي سعاوي , إيمانها بأن صلاح الأمة في حاكمها لأنها تشاركه في إدارة الحكم وتقيده بأحكام الدستور والمشروطية , كما انها تؤمن بالثنائية الحضارية , أي ضرورة ان تتألف الحضارة الإسلامية مع ما شهدته المجتمعات الغربية من تطورات في ميادين الحياة , شرط أن لا تتعارض مع مبادئ وقيم الدين الإسلامي .

من هذا المنطلق فإن دراسة شخصية علي سعاوي لها أهمية خاصة لأنه من مثقفي عصر التنظيمات ومن رواد التيار القومي الذي ينتمي لمفاهيم حب الوطن والحرية والقومية , التي تعد مفاهيم جديدة على المجتمع التركي , ولصعوبة الحصول على معلومات تفصيلية عن حياة علي سعاوي ونشاطه السياسي والثقافي في الدولة العثمانية في المصادر العربية , كان لا بد لنا من الاعتماد على المصادر التركية بالدرجة الأساس , للحصول على معلومات عن هذه الشخصية , فضلاً عن عدد من المصادر والمقالات باللغة الانكليزية والتي تم الحصول عليها من المكتبات التركية والمصرية وترجمتها الى العربية , الى جانب بعض المصادر باللغة العربية لتوضيح بعض المواقع والشخصيات .

وبعد قراءتها بشكل دقيق ارتأيت تقسيم البحث الى خمسة محاور , تناول الأول والذي قسم الى ثلاث نقاط , حياة علي سعاوي والعوامل التي أثرت في تكوين شخصيته بحيث أصبحت محط أنظار المسؤولين العثمانيين , إذ قررت الحكومة تعيينه في وزارة الخارجية , ومنها عرف وبشكل دقيق مواطن الضعف التي تواجهها الدولة العثمانية , لاسيما في المجال العسكري , وسبل إعادة قوتها ومكانتها ثانية .

ازدادت خبرة سعاوي ودعواته للإصلاح بعد ان تقلّد مناصب وظيفية سواء في العاصمة استانبول أو ولاية بورصة , وهذا ما تطرق إليه المحور الثاني , أما المحور الثالث فقد اختص حول مفهوم الإصلاح السياسي عند

المفكر علي سعاوي , في حين تضمن المحور الرابع آراء سعاوي السياسية ونتاجه الفكري , ليختم المحور الخامس (حادثة جراغان) وطريقة اغتيال علي سعاوي والجهة المسؤولة عن ذلك .

أولاً – ولادته ونشأته والعوامل التي أثرت في تكوينه الشخصي :

ولد علي سعاوي في الأشهر الأخيرة من القرن التاسع عشر , بالتحديد في الأول من تشرين الأول عام ١٨٣٩ ببيت يقع في حي " جراح باشا " باستانبول العاصمة , وينحدر من أسرة تركية ميسورة الحال , كان والده السيد حسين آغا الملقب (دامغ الورق) أي بائع الورق من أصول يونانية ومن الشخصيات البارزة هي (فيزان الشهير) الواقعة ضمن منطقة الأناضول [١] , ولمكانته الاجتماعية بين الأهالي فقد كان بيته مفتوحاً لاستقبال المثقفين والعلماء من رجال الدين لمناقشة الجوانب الدينية والثقافية التي تخص المجتمع العثماني وبحضور علي سعاوي , إذ كان والده حريصاً على مشاركة ابنه في هذه المجالس , لتكون له بمثابة مدرسة يتعلم منها شؤون الحياة والتربية الدينية وفق الشريعة الإسلامية , مما كان لها إسهاماً فاعلاً في تكوين وبناء شخصيته الثقافية , أما والدته فهي من طبقة اجتماعية متوسطة , إذ كان والدها يعمل موظفاً في إحدى الدوائر الحكومية , وقد ساهمت مع زوجها في تربية وتنشئة ولدهم علي سعاوي قواعد الحياة الصحيحة [٢].

يمكن القول ان علي سعاوي كان محظوظاً في طفولته نظراً للجو الذي وجده في عائلته , كما ان والده كان مهتماً به على إتباع الطريق الصحيح والتربية الدينية , ويبدو ان نهج المصلحين بدأ يرتسم في ذهنه , حيث كان يسمع ويرى هؤلاء العلماء المثقفين داخل منزله , بينما يتناقشون ويتحدثون , فكان ذلك مهماً في تكوين شخصيته الثقافية .

تظافرت عدة عوامل في تكوين شخصية سعاوي سواء منها الوراثية أو المكتسبة وهي :

١- **التربية الأسرية :** نشأ سعاوي وسط أسرة عريقة محبة للعلم والثقافة الإسلامية والتقوى [٣].

٢- **البيئة الاجتماعية :** ان مرحلة الصبا التي قضاها سعاوي في مسقط رأسه تركت بصماتها على شخصيته , إذ كانت بيئة إسلامية لم تتأثر بالمتغيرات الأوربية الدخيلة إلا قليلاً , ويصف سبعاوي بيئته الاجتماعية التي ينتمي إليها بقوله " إني من العامة التي سلبت حقوقهم " [٤].

فمن الناحية الاجتماعية تأثر بالاشتراكية الإنسانية وأصبحت كما يقول احد الباحثين مذهبه في الحياة , كان حساساً من الظلم الاجتماعي , رافضاً له , حيث يقول " كنت أتذكر جيداً وأنا طفل جباة الضرائب عندما يأتون لجمع الضرائب ... مشهد مأساوي رأيته بعيني ... الفلاحون الفقراء الذين كانوا لا يستطيعون دفع ضرائبهم يتعرضون للعقاب ... " [٥]

وعلى الرغم من ان بعض المصادر تحدثت عن حياة سعاوي , إلا ان هناك سببين أسهما الى حد كبير في ان يكتنف الغموض وعدم وضوح جوانب كثيرة من حياته الشخصية لا سيما مرحلة طفولته , أولاً : تكتمه وعدم

الخوض في الأمور الشخصية خشية المشاكل مع السلطات العثمانية , ثانياً : عدم تفرغه لكتابة سيرته الذاتية كما يفعل الكثير من الأعلام [٦].

تلقى سعاوي تعليمه الابتدائي في مدرسة الصبية التي اختصت بتحفيظ القرآن , وعلوم التفسير والحديث النبوي الشريف وغيرها من العلوم الشرعية , وعند بلوغه سن الرابعة عشر أواخر عام ١٨٥٣ انتقل الى مدرسة داود باشا الرشدية باستانبول [٧].

ما لبث بعدها ان تم تعيينه في دائرة التفتيش في وزارة الخارجية لثلاث سنوات , إذ جعل نصب عينيه في هذه المدّة الاهتمام بالمسائل العسكرية قائلاً " ... كان جل اهتمامي خلال عملي في وزارة الخارجية هو انشغالي بالشؤون العسكرية في الدولة العثمانية ... " [٨] , في محاولة منه للنهوض بالدولة العثمانية واستعادة قوتها العسكرية قدر الإمكان بإجرائها إصلاحات في المؤسسة العسكرية التي أصابها الضعف والانحلال مع مطلع القرن التاسع عشر [٩].

أما شخصيته الثقافية فقد اعتمد سعاوي في تكوينها على ركنين أساسيين هما : أولاً الدين الذي استمد مبادئه وخصائصه من بيئته التي عاش فيها , مؤكد أهمية الإسلام في مجابهة الأعداء , ويورد مقالاً لأحد المستشرقين الفرنسيين جاء فيها "" الإسلام يقلقنا لأنه المحرك الأساسي للمقاومة العثمانية ورفض الذل والإهانة " [١٠] , وانه كما يصفه سعاوي المحرك الأساسي للأمة العثمانية , وثانياً التعمق في الثقافة الأوربية وفهم إسرارها وعناصر قوتها , فكان الى جانب دراسته الثانوية , يقرأ كتب التاريخ ليطلع على تاريخ بلاده منذ نشأة الدولة العثمانية [١١].

بدأت رغبة علي سعاوي في التطلع نحو العلم والمعرفة الذي هو مفتاح ثقافات الشعوب وتحضرها , وهذا لا يتحقق إلا بالسفر الى بعض الولايات العثمانية التي يمكن توظيفها خدمة لإصلاح المجتمع العثماني [١٢] , فكانت أولى رحلاته عام ١٨٥٦ الى الحجاز لمواصلة دراسته وهو في سن السابعة عشر من عمره , وقد لاقى سعاوي الاهتمام والترحيب الكبير منذ وصوله إليها , مما كان له الأثر الكثير في انتظامه في الدراسة على يد عدد من الشيوخ المهتمين بتدريس الفنون الإسلامية والعلوم العربية , إذ بدأ بدراسة كتب اللغة العربية وبلاغتها , ثم درس الفقه والتفسير وعلم الحديث بصورة خاصة , قائلاً " كان علم الحديث محبب إلي بكثرة مقارنة بالعلوم الشرعية الأخرى " [١٣].

لقد تأقلم سعاوي مع الجو العلمي الذي ميّز مدينة مكة المكرمة , فأطال الإقامة فيها عدة سنوات بسبب حبه وتلهفه في دراسة كتب الشريعة الإسلامية وفهم فلسفتها وبالأخص جامع الصغير للسيوطي , وكتاب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني , وكتاب الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي , وهنا لابد من الإشارة الى

الكم الهائل من الأحاديث النبوية التي حفظها سعاوي وهو في مكة وتمكنه من استحضارها والاستدلال بها عند الحديث وكتابة مقالاته وأبحاثه مرصعة بالأحاديث النبوية الشريفة حتى كانوا يلقبونه " بالمحدث " [١٤].

ونستنتج من ذلك ان تنوع قراءات سعاوي لكتب العلوم الشرعية من التفسير والحديث والأصول قد استفاد منها في قوة فِكره وبلاغة فلسفته .

أما الرحلة الثانية فقد كانت الى ولاية بورصة عام ١٨٥٩ حيث كانت لديه رغبة صادقة وحماس لا يوصف في ترك الحجاز والانتقال الى مكان آخر يزداد علماً ونضوجاً فكرياً فوقع اختياره على بورصة , وخاصة انه كان يعلم جيداً ان المؤسسة التعليمية أعلنت عن فتح باب التقديم لأداء امتحان المعلمين , فتقدم الى الامتحان عام ١٨٦٠ , وحصل على المرتبة الثانية من بين خمسين طالباً ناجحاً [١٥].

كما أحب علي سعاوي السفر والترحال فزار العراق والشام والأناضول وأوربا فدون مشاهداته في تلك البلاد وشارك في الندوات والمناظرات الدينية وترك بصماته الواضحة في ميادين الإصلاح والحركة الفكرية [١٦], لقد بلورت تلك الأفكار شخصية علي سعاوي ومنحها أبعاداً جديدة في فكرة الإصلاح السياسي وأهله للعمل بأمور السياسة والمجتمع فاصبح علماً من أعلام الحركة الإصلاحية والفكرية من خلال متابعته لقضية بلاده حتى مقتله .

ثانياً – مفهوم الإصلاح السياسي عند علي سعاوي :

ان كلمة الإصلاح التي نتكلم عنها هي كلمة عامة وشاملة , فهي لا تنحصر في جزيئة من جزيئات الحياة , ولا في مكون من مكونات المجتمع , والسعي بها في الحياة يقتضي إصلاح المؤسسات الفكرية والاجتماعية , من هنا تنبثق النظرية الإصلاحية لسعاوي , كان فكره الإصلاحي قائم على دعامتين رئيسيتين هما حفظ وحماية الدين الإسلامي والإنصاف في تطبيق العدالة والمساواة بين الجميع , وهذه نابعة من طبيعة الحياة التي كان يعيشها في مجتمعه وظروفها الاجتماعية والدينية والسياسية والفكرية , مما حرك فيه روح الدعوة للإصلاح , وضرورة مساعدة المجتمع للتخلص من الظلم الاستبداد , وبعث الروح الفكرية التي تصل الى اليقظة العامة للدولة العثمانية في شتى مجالات الحياة [١٧].

ان الإصلاح الذي يسعى إليه علي سعاوي هو الإصلاح السياسي وفق الشريعة الإسلامية التي تحوي في نظره أصولاً جامعة صالحة لآي زمان ومكان [١٨].

ان مفهوم علي سعاوي للإصلاح السياسي الحقيقي (الإصلاح العظيم) كما يسميه , ينبثق من القاعدة لا من القمة , لأن القمة المتمثلة بالطبقة الحاكمة من السلاطين والأمراء في نظره هم سبب الفساد , فلا يعول عليها في الإصلاح حيث قال " لا بقاء مع ظلم وفساد ولا عدل مع استبداد ولا هلاك مع إصلاح ولا إصلاح للدولة إلا بصلاح الأمة ... " [١٩].

ان أفضل طريق للإصلاح السياسي هو ان تتعاون فيه القمة مع القاعدة حيث يشترك الجميع في الإصلاح لأن الإصلاح من جهة واحدة يعد ناقصاً " , فالحكومة لها القدرة على إلزام الأمة بقبول الإصلاحات والإيمان بها , لأنها تؤدي الى إصلاح مفاصل الدولة لاسيما الحكومة... " [٢٠].

ومن خلال تصور سعاوي لمفهوم الإصلاح السياسي حاول أن يوفق بين فئتين , فئة موالية للإصلاحات الغربية ومواكبة التطور في أوربا , وفئة تريد ان يكون الإصلاح من الداخل , يسير وفق الخصوصية والمقومات والثوابت العثمانية الإسلامية , وغالبية هؤلاء من العامة [٢١].

وحاول سعاوي الجمع بين الرأيين في رأي واحد تمثله طائفة واحدة أكد على ضرورة وجودها في حال الخلاف فقال " لا بد من التوفيق بين النظام المدني والدين النقي " , فالنظام والمدنية يتمثل في إدخال النظم الغربية , وأساليب الحضارة ووسائل التنظيم في الإسلام الإداري , فالإسلام والحضارة صديقان يتفقان ولا يختلفان , أما الدين النقي يتمثل في الالتزام بالشريعة الإسلامية في الحكم السياسي , وتسيير شؤون العامة , فإحلالها في واقع الأمة هو إحيائها وإلغاؤها هو إبعاد الإسلام عن ارض الواقع [٢٢], السؤال هنا , هل هناك مؤثرات أدّت دورها الفاعل في تنمية عقلية سعاوي وجعلته يدعو ويطالب بضرورة الإصلاح السياسي ؟ هذا ما توضحه النقاط الآتية :

١- كان للواقع الأسري الذي ينتمي إليه سعاوي دور مهم في بناء الشخصية وصقلها , إذ انه من عائلة عرفت العلم وحب الوطن , وهو ما اثر على شخصيته مستفيداً من الإرث الديني والثقافي والإصلاحي التي تمتعت به عائلته [٢٣].

٢- كان للبيئة التي نشأ فيها المفكر سعاوي تأثيراً رئيسياً على بنائه الفكري والسياسي , فعلى الرغم من ان الغموض يكتنف المرحلة الأولى من نشأته [٢٤].

٣- حظي سعاوي بموارد ومنابع للعلم , إذ مثل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف القاعدة والأساس الذي انطلق منه في مسيرته , فحفظ نهجه العلمي على طريق سوي واضح المعالم ليترك في نفسه وروحه أثراً مميزاً مكنه من بناء شخصيته وفق المنظور الإسلامي الحديث[٢٥].

٤- ان تمسكه بالتعليم الديني التقليدي وانفتاحه على التعليم الأوربي الحديث ساهمت في تعميق نظرة المفكر سعاوي ورؤيته للعمل الإصلاحي التجديدي والحاجة إليه [٢٦].

٥- ان سعة اطلاعه على المصادر المختلفة , قد وسعت قدراته في معرفة الموثوق منها , أو نقد البعض منها إذا كانت مخالفة للمعقول والمنقول , نذكر على سبيل المثال كتاب جامع الصغير للسيوطي , وغير ذلك , ومما هو جدير بالانتباه ان سعاوي كان يطالع العديد من المصادر بلغات أجنبية منها الانكليزية والفرنسية [٢٧].

٦- تأثره في الفكر السياسي الذي كان يطرحه المفكرون آنذاك قد ساهم في رسم التوجهات الفكرية والإصلاحية للسعاوي , وبرز هذا التأثير على أفكاره من خلال كتاباته النقدية والتقويمية الى التأثير في الأحداث , إذ لم يقف

موقفاً متفرجاً من الأحداث بل كان ينخرط فيها ويوجه ما يراه صائباً وصالحاً للبلاد , وكان هاجسه السياسي البحث عن الدولة الإسلامية المدنية [٢٨].

مما تقدم نستطيع القول ان جملة من العوامل أدت دوراً متميزاً في حياة علي سعاوي ساعدته بشكل أو بآخر للعمل الإصلاحي السياسي وفق مبادئ الشريعة الإسلامية , ولم تكن فكرته الإصلاحية سوى مظهر من مظاهر تأثير الواقع الذي عاش فيه , من دون التأثير بسلبياته ومشاكله , فضلاً عن اطلاعه على مختلف التيارات الفكرية السياسية التي ظهرت آنذاك والمعارضة للحكومة والإدارة العثمانية , داعياً الاستجابة لرغباتهم بالإصلاح وفقاً لاتجاهاتهم الفكرية , مما زاد من توسيع افقه , السياسي , علماً انه على دراية بالفساد الذي استشرى في أركان الدولة العثمانية والضعف الذي وصلت إليه .

ثالثاً – الوظائف التي تدرج بها :

تقلد علي سعاوي العديد من الوظائف وذلك لقدرته على التحكم في الأمور بطريقة دبلوماسية , وقد ذكر أحد الباحثين " ان علي سعاوي رجل عظيم حقاً ولكننا ما عرفنا عظمته إلا بعد أن قتل " , وهذا يدل وبشكل واضح للمكانة الكبيرة التي كان يحتلها , والحق انه قد مارس عدة وظائف منها : تكليفه عام ١٨٥٩ للانتقال الى بورصة لممارسة مهنة الوعظ والإرشاد في جامع الوداغ , إذ أخذ ينظم فيه دروساً دينية يومية في علوم الشريعة والوعظ والتاريخ الإسلامي تناسب مستوى العامة من سكان المدينة [٢٩].

تميزت دروس علي سعاوي وخطبه التي كان يلقيها للعامة في جامع الوداغ الذي اتخذه مركزاً له وقاعدته الإصلاحية بأسلوبه البليغ المؤثر , فاحدث بدروسه وخطبه أثراً عميقاً في نفوس الناس وأيقظ عقولهم , واخذ يدعوهم الى التمسك بشخصيتهم الوطنية وأصالتهم الدينية وتاريخهم العريق , ظل سعاوي مدرسا وواعظاً ومرشداً بجامع الوداع لمدة سنة متحدياً مضايقات السلطات العثمانية من جهة وعراقيل الأئمة الرسميين من جهة أخرى [٣٠] , الى أن تم انتدابه في عام ١٨٦٠ لإدارة المدرسة الرشيدية الابتدائية في بورصة بعد اجتيازه امتحان مجلس الدولة للمعارف العمومية , امتاز منهجه التربوي التعليمي بالمدرسة الرشيدية بالمعالم التربوية العصرية ومنها , تقوية الطلبة في العلوم الدينية علماً وتطبيقاً , وفي القراءة حفظاً وتمكيناً , وتعويد الطلبة على القراءة والخطابة , وتهيأة عقولهم على التفكير الصحيح , وحثهم على التمسك بالقيم الأخلاقية الإسلامية الصحيحة سلوكاً , ودفعهم الى الأخذ بالعلوم كالرياضيات والطبيعيات , كما يرفع هممهم الى التطلع للتعليم العالي وعدم الاكتفاء بالتعليم المتوسط والثانوي , وكان سعاوي يسعى جاهداً في برنامجه الإصلاحي التعليمي لخلق جيل واعٍ يعتمد عليه في عملية التغيير والبناء الاجتماعي والسياسي مستقبلاً , لكن أعداء الإصلاح من الأئمة الرسميين التابعين للحكومة العثمانية تدخلوا لدى والي بورصة عبد الرحمن سامي باشا [٣١], بعد اتهامه بأنه يحرض العامة ضد الدولة العثمانية .

كان قائمقام بلدة فيليبة [٣٢], مدركاً ومتابعاً بدقة ما كان يعانيه سعاوي من مضايقات في بورصة , ولا سيما وانه لم يرق لواليها عبد الرحمن باشا ان تلقى دروسه وخطبه ذلك الإقبال , وشعر بأن تأثيره على العامة يتسع وأصبح خطراً على الحكومة العثمانية , فاخذ يضيق ويشدد الخناق عليه , الأمر الذي جعل سعاوي يستشير صديقه قاضي فيليبة بمغادرة بورصة لمدّة وجيزة والانتقال الى مكان آخر , فما كان من الأخير إلا انه تدخل لدى والي بورصة لإعادته من جديد الى وظيفته كمعلم أول (رئيس المعلمين) في المدرسة الرشيدية عام ١٨٦٥ [٣٣].

استمرت جهود سعاوي الإصلاحية في مجال التربية والتعليم في عام ١٨٦٦, من خلال مواصلته في إلقاء المحاضرات السياسية والاجتماعية في جامع باشيل أوغلو في فيليبة , إذ أسهم سعاوي بشكل رئيسي وفعال في مجال التربية والتعليم داخل الدولة العثمانية , أهمها توحيد وسائل وأساليب التعليم واختيار الكتب التي تُدرّس في المدارس العثمانية , والتي تتفق مع الروح القومية العثمانية [٣٤], مما يدل على جدية سعاوي في الإسراع في العمل الإصلاحي , لذا فقد وجدناه قد عاد متلهفاً الى استانبول ليواصل عمله الإصلاحي التعليمي بممارسة مهنة التربية والتعليم وإلقاء المحاضرات وفق أسس علمية قوية .

وصل سعاوي الى استانبول في عام ١٨٦٧ وبمجرد وصوله الى هناك شرع مباشرة مواصلة عمله الذي جاء من اجله , فقام بإلقاء الدروس والمحاضرات في جامع شاهزاده الكبير باستانبول معرفاً بالإسلام الصحيح , وبذلك استطاع جذب أنظار أهالي استانبول إليه فاقبلوا على دروسه ومحاضراته فارتكزت على استنهاض الروح الإسلامية [٣٥], وهذا ما ما أكدته تقارير الحكومة العثمانية بالقول " انه عمل على تحقيق الهدف الوطني وكانت له القدرة والذكاء والجرأة ... وتميز بقوة الكلمة وتمكنه من معرفة ونقل اللغة العربية والفرنسية بدرجة جيدة وكل ذلك ساعده على نقد سياسة الحكومة مكوناً جمهوراً عريضاً من المؤيدين " , كما استطاع توطيد علاقته بالأعيان المحليين والسياسيين في المدينة , وكان عند كل محاضرة يجمع التبرعات المالية لصالح الجامع [٣٦].

بدأت أولى خطوات سعاوي الإصلاحية عام ١٨٦٩ في ميدان الصحافة وتحديداً في جريدة مخبر[٣٧] , فقد عالج في كتاباته جوانب متعددة من واقع المجتمع العثماني , اذ شخص بدقة أمراضه الاجتماعية بالوصف والنقد والتقويم [٣٨].

وعلى الرغم من انه أكثر في مقالاته بالدعوة الى التمسك بالدين الإسلامي , فانه طرح أفكاراً ونظريات سياسية أشار فيها الى إمكانية الاستفادة من الجوانب الايجابية في الحضارة الغربية [٣٩], إلا إن الجريدة لم تنشر مقالاته التي وجهها بالنقد للحكومة العثمانية , التي حاول فيها استنهاض الطبقة المثقفة في المجتمع ليكونوا هم القادة الفعليين في مسيرة الإصلاح , وأكد على دورهم في إنقاذ المجتمع من الظلم الذي كانوا يعيشونه , فاستدعاه الأمير مصطفى فاضل باشا [٤٠] الى باريس لإعادة فتح الجريدة , فهرب سعاوي الى باريس [٤١] في تموز ١٨٧٠ وفيها أعيد صدور جريدة المخبر ثانية , إذ جاء في مقاله الأول " ان الجريدة عادت لتعمل

وإنها تصدر بواسطة مجتمع مسلم يهدف للارتقاء بالتعليم والحضارة في الدولة العثمانية ومقاومة الهيمنة الأوربية " [٤٢], إلا ان الأمير مصطفى فاضل لم يكن يدفع إليه راتباً لأن كل ما طرحه السعاوي في الجريدة تخص الجانب التعليمي وكيفية تطويره لمواكبة النهضة التعليمية والثقافية التي يشهدها العالم , لاسيما الدول الغربية , وهذا يتعارض مع هدف الأمير مصطفى من دعوة سعاوي الى باريس بانتقاده الحكومة العثمانية بشكل أساسي دون التطرق الى مواضيع أخرى , عندها تم إغلاق الجريدة بسبب الحاجة الى المال [٤٣].

ان المميزات التي امتاز بها علي سعاوي , جعلته يفكر بالهرب الى باريس لكونها تتلاءم مع طبيعته , وتنسجم مع ميوله نحو الاهتمام بالتاريخ والاستفادة من تجارب الأمم الحضارية السالفة , لذا اصدر بين عامي ١٨٧٠ و ١٨٧١ جريدة علوم [٤٤], وكانت تختلف عن جريدة مخبر بطبيعة مواضيعها التي ركزت على القضايا العلمية والفكرية وعدهما توأمان لا ينفصلان , دون التطرق الى القضايا السياسية [٤٥].

وفي عام ١٨٧٦ عاد سعاوي الى استانبول بدعوة من السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩) فقام بتعيينه أميناً لمكتبة القصر ومعلماً شخصياً للأمراء الصغار , وهذا ما نشرته إحدى الصحف العثمانية وجاء فيها : " انه تم تكليف علي سعاوي بأن يكون أمين مكتبة همايون في القصر ... ومدرساً لأبناء السلطان [٤٦] , وهنا لابد من توضيح حقيقة مهمة , وهي ان دعوة السلطان للسعاوي بتولية مهمة تعليم أبنائه لم تأتي من فراغ , بل كان لها بعداً سياسياً , ليناسب ما دعا إليه بضرورة إصلاح الدولة العثمانية والتي كانت أولى خطواته ففي هذا الميدان هو تقربه للمصلحين العثمانيين , وفي مقدمتهم المصلح مدحت باشا وإسنادهم مناصب سياسية في الحكومة العثمانية , وبما ان سعاوي يعد من رجالات الإصلاح في مجال التعليم والثقافة , فهذا يعطي انطباع بأن السلطان عبد الحميد قد بدأ أولى خطوات الإصلاح وضرورة تغيير الواقع بدءاً من أولاده وأولاد الأمراء المتواجدين في القصر السلطاني وتربيتهم تربية تنسجم مع ما يدعو إليه المصلحين .

تسلم سعاوي في عام ١٨٧٧ منصب إدارة مدرسة غلطة سراي السلطانية الابتدائية واختار لها أكفئ المعلمين فأصبحت على أتم الاستعداد لاستقبال الطلبة , إذ اعتمد في تعليمهم برنامجاً حديثاً يهتم بتدريس المناهج الرئيسية والحساب والجغرافية والعلوم الحديثة [٤٧].

والحق انه لا يمكن حصر ما تولاه علي سعاوي من وظائف ومسؤوليات في اسطر قليلة , فقد تقلد عدة وظائف هامة لكونه غير راضي عن الإصلاحات التي كانت تقوم بها الحكومة العثمانية لأنها لم تكن في نظره جدية وقادرة على التغيير , لذا انخرط في تيار المثقفين العثمانيين الذي ظهر في القرن التاسع عشر وكان من المؤيدين للسير باتجاه التحديث بشرط عدم الانخراط في التخريب والتخلي عن الحضارة الإسلامية .

رابعاً – آراؤه السياسية :

احتل علي سعاوي مكانة هامة في تاريخ الثقافة العثمانية أهلتّه لأن يعد من أهم المصلحين بالدولة العثمانية , ويرجع تكوين فكره الإصلاحي الى ثقافته بشكل عام , فضلاً عن اجتهاده وحرصه على تعلم اللغة الانكليزية والفرنسية , قد مهد له السبيل للاطلاع على الكتب والمراجع الخاصة بالقانون والتاريخ الغربي , والذي ساعده على تكوين رأيه عن الحضارة الأوربية , ومن ثم فقد آمن علي سعاوي بالوحدة العثمانية ودافع عن الأيدلوجية الإسلامية [٤٨], لا سيما انه نشأ بشكل أساسي مع الثقافة الإسلامية , لذا كانت ثقافته عن الحضارة الشرقية بعلومها الإسلامية والحضارة الغربية بأنظمتها الحديثة , وراء تكوين وتحديد اتجاهاته الفكرية التي قد ساهمت في تكوين آراؤه حول كيفية الإصلاح السياسي للدولة وإيجاد الحلول لمشاكلها , وجعلته صاحب شخصية مركزية وفكر مستقل عن المفكرين السابقين رغم وجود تفاوت في الأفكار بينهم قد تزداد في جوانب وتقل في أخرى إلا أنهم يشتركون جميعاً في المبادئ الأساسية للإصلاح [٤٩], ومن خلال ذلك يتضح لنا المعاني الجوهرية في فكره الإصلاحي والسياسي والتي استمدت جوهرها من الإسلام روحاً وعقيدة وتعددت المجالات التي يدعو فيها الى الإصلاح وهي :

١- الملكية والاستبداد في الحكم :

رجح علي سعاوي الملكية المشروطة كأفضل شكل للحكم , وفرق بين مفهومي الملكية والاستبداد , ففي تحديده لمفهوم الاستبداد ينطلق من الواقع العثماني الذي كان تحت استبداد السلطان وهدفه حكم الدولة وفقاً للأهواء الشخصية دون الأحكام الى القوانين والشريعة الإسلامية , أراد سعاوي أن يتوجه بمفهوم الملكية والاستبداد لإحياء مقومات الأمة العثمانية , وانطلاقاً من اهتمامه الملحوظ بكل ما يوجد على الساحة العثمانية من أحداث وما تشهده من اضطرابات [٥٠], فقد لوحظ وقوفه في عدة قضايا سياسية مختلفة كالملكية والاستبداد واليات الرقابة في الحكم , وتعميق سلطة القوانين والشريعة فوق سلطة الحاكم في الدولة وإدارة الدولة باسم الشرع والقانون [٥١].

وقف سعاوي من السلطان موقفاً متحدياً بلهجة حادة في قوله " لا يمنح السلطان الحق في التحكم بالشعب أو بسط نفوذه عليهم , كما ان مبادئ الإسلام تؤكد هذه الفكرة ... الحكم المطلق لله ولسنا عبيد للسلطان ... " وكذلك قوله " فكرة السلطنة والحكم هل هي مطلقة أم مشروطة ؟ من هو صاحب الحكم المطلق والناهي والمتحكم في كل شيء , بالتأكيد هو الله عز وجل , وانطلاقاً منم هذا المعنى لا يمكن أن يتصف احد من البشر " بالسلطان أو الحاكم " , لأننا البشر لا نملك لا إرادة ولا قدرة مطلقة أو ذاتية , وإنما نستمد قوتنا من الله ... " [٥٢], حاول سعاوي أن يفرق بين الحاكم السياسي الحقيقي والحاكم الزائف , إذ يقربان الذي يمارس الحكم الحقيقي يكون بمثابة الحامي للأمة والداعي لإحياء مقوماتها الأصلية فتكون بذلك قادرة عن إدارة المجتمع وتمثيله وتيسير أموره لما لها من ثوابت عميقة , يوضح ذلك بقوله " لا يوجد سلطة أعلى من

سلطة السيف وهذه حقيقة ثابتة علمياً ومنطقياً وحقوق الحاكم الفعلي يجب ان تكون محدودة ولا بد من تقييد صلاحياته " , ثم ان تلك المقومات هي أساس الحكم فإذا تلاشت يتعذر الحديث عنها بقوله " لا يمكن ان تكون شخصية الحاكم صالحة , وان الحاكم لا يمكن أن يطبق إجراءات وسياسيات مستقيمة في ظل سلطة مطلقة " [٥٣], وهذا يدل على انه مهما كان السلطان صاحب شخصية عادلة فان المنصب والنفوذ قد تتسبب في ان يحيد عن القوانين العامة ويتصرف خارج حدود صلاحياته .

وانطلاقاً من رؤية سعاوي السابقة للملكية الاستبدادية المطلقة في الحكم التي استنبطها من الواقع العثماني فهو بذلك يكشف عن حقيقة السلطان في الدولة العثمانية ويرى انه " يستغل نفوذه وفقاً لرغباته الشخصية دون اللجوء الى القوانين والشريعة الإسلامية , وهو بذلك يبين لكلمة الحكم الغير مطلق لتلبية أغراضه الخاصة والذي يهدف من ورائها ان يملك صفة الحاكم والمهيمن على رقاب الشعب " [٥٤], ويرجع ذلك الى الاستغلال في ممارسة الحكم من طرف السلطان الى طبيعته الاستبدادية المطلقة تجاه العامة " وما جاء هذه البلاد إلا من الوضعية الشاذة التي بنى عليها نظام الحكم المطلق على المسلمين في الدولة العثمانية ... حكومة في الظاهر مقيدة وغير مطلقة وفي الواقع استبدادية فردية في الحكم ... " , ونظراً لتلك الطبيعة الاستبدادية للحكم فهو لا يستقر على نوع واحد للحكم بل وفق ما تمليه عليه مصالحه الخاصة ضارباً بذلك بمبادئ الحكم غير المطلق عرض الحائط [٥٥].

وما دام السلطان بدأ يفرض رأيه في معنى الحكم وممارساته فإن قيمة الحكم الغير مطلق ومكانته بالدولة العثمانية لم ترتفع الى معناها الحقيقي , عندما عد السلطان ان الحكم المطلق والاستبداد ضرورة , فإن سعاوي يرد على ذلك الادعاء ويبين خصائص الحكم المقيد بالصلاحيات لدى السلطان في ان كل من يطالب بنظام حكم للسلطة العثمانية محدد الصلاحيات فهو محرم في نظر السلطان [٥٦], ويضيف سعاوي انه لابد من وجود آليات رقابية تحد من صلاحيات السلطان ومعاونيه فهو لا يملك سلطة مطلقة في نظر الفقه الإسلامي , وعلى ضوء ذلك يؤكد على مسألة الآلية الرقابية في الحكم فيذكر ما نصه " من يحكم الشعب هم السلاطين , ومن يحكم السلاطين هو العلم , ومن يحكم العلم هم العلماء " [٥٧], فهو يقبل بالنظرية الإسلامية التي تعتبر العلماء بمثابة آليات رقابية على السلطان ورجال الدولة " , ويرى ان غياب العلماء كعنصر رقابي قد يشكل مأزق كبير وبهذا الخصوص يذكر ان " الرقيب على الرعية وعامة الناس هم الملوك والوزراء , والرقيب على الملوك هم العلماء , والرقيب على العلماء هي الشريعة الإسلامية , والأساس في الإسلام ان الحكومة لا تحتكم في قراراتها الى شخص بعينه وإنما المرجع الأول والأخير هو الشريعة الإسلامية [٥٨], ومن ذلك ندرك أهمية الحكم غير المطلق وعن ممارسة السلطان للحكم على ذلك المستوى نجده يشير الى ان هناك طريق واحد لرفع الظلم والتصدي لاستبداد السلطان باللجوء والاحتكام للشريعة الإسلامية .

٢- الخلافة الإسلامية :

كان للخلافة الإسلامية شأن تاريخي عظيم , لا سيما في أوائل عهدها , لكن بعد دخول المغول بغداد وإسقاط الخلافة الإسلامية عام ١٢٥٨ م , حتى جاء سلاطين آل عثمان فاتخذوا لأنفسهم لقب الخلافة بيد ان السلاطين العثمانيين ما كانوا ليحرزوا من المكانة الدينية مثل ما أحرزوه من قبلهم الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين [٥٩], وكان علي سعاوي لا يعترف بكيان الخلافة في الإسلام , على الرغم من تمركزها في الدولة الأموية والعباسية والعثمانية أمراً من ثوابت التاريخ , ومن المؤكد ان هذه الحقيقة لا تغيب عن ذهنه , والسؤال الذي يطرح نفسه , لماذا يرفض علي سعاوي فكرة الخلافة ؟ كان سعاوي بصيراً بحقائق التاريخ التي أمعن النظر إليها كثيراً حاله حال الكثير من المفكرين المتتبعين تطور الخلافة مع الزمن وما آلت إليه الأحكام النظرية والاندفاع وراء العواطف , وما رافقه من انقسام الخلافة وتعدد المتسمين بها على الرغم من إصرار معظم الفقهاء على وحدة وقوة الخليفة , ووجد كيف صارت الخلافة لقباً أجوفاً في الدولة العثمانية التي ابتعد معظم سلاطينها عن واجبات الخلافة ومهامها الحقيقية وانصرفوا عن مصالح رعاياهم [٦٠].

هكذا أبرز سعاوي " تاريخ نظام الخلافة " وتطورها دون ان يقتطعه وينتزعه ويفصله عن الإسلام أو يجعله مناقضاً له أو خارجاً عليه – كما علل غيره , ليس هذا فحسب بل توسعت كتاباته لتشمل خطابات سياسية في موضوع الخلافة يخاطب من خلاله العثمانيين حول مفهوم كلمة الخلافة ودلالتها اللغوية وهي النيابة عن الغير في حين ان مفهومها في الدول الإسلامية هو منصب حكم الدولة خلفاً للرسول (ص) [٦١].

كتب سعاوي مقالة له في جريدة مخبر في لندن بعنوان " الحاكم هو الله " , دعا فيه انه ليس بالضرورة ان تتمثل الخلافة في شخص واحد , بل يمكن ان توكل الى جماعة أو هيئة , كما يرى ان الحكومة في المجتمع الإسلامي مكلفة بتطبيق العدالة الإلهية , وان هذه الحكومة ما هي إلا تجسيد للعدل الإلهي على الأرض , وحذر العثمانيين من خطورة عمل الخليفة على أساس فردي وأهميته ان يكون الخليفة هو ظل الله في الأرض الموكل بتطبيق العدل بشكل يتناسب مع حدود اللغة البشرية [٦٢], ان شخص بدقة وموضوعية وضعية ان الخلافة والإمامة وجهان لعملة واحدة , وبما ان أصل نشأة الحكومة هو القوانين الإلهية فالإمامة الحديثة هي درجة من درجات الخلافة , وترتبط مدى شرعية الخلافة بمدى تطبيقها للقوانين والأسس الإلهية المتأصلة في النفس البشرية منذ القدم [٦٣].

حاول سعاوي من خلال كتاباته معالجة موضوع الخلافة , وان لقب الخليفة في الأصل لا يحمل صفة التقديس وليس له مدلول ديني , فالألقاب المختلفة سواء سلطان أو إمام لا تقتضي عليه أبداً صفة وكيل الرسول (ص) أو خليفة أو حامل أمانته [٦٤], ليس هذا فحسب بل انه نادى الى إن فكرة تقديس السلطان ووضعه في منزلة الرسول (ص) ليس لها أساس في الدين , حتى الحكام والسلاطين نفسهم لم ينسبوا الى

مناصبهم أو الى مفهوم الخلافة بشكل عام أي قدسية , لكن مع مرور الوقت بدأ لقب الخليفة يفقد معناه الأصلي ويكتسب دلالة جديدة حتى يأت يطلق على أي شخص يتولى حكم الدولة الإسلامية [٦٥].

كما تطرق في كتاباته الى ضرورة الخروج على مفهوم الخلافة , ونظام الشريعة في مرحلة بلغت فيها الخلافة ذروة قوتها ومجدها والثورة على السلطان والإطاحة به وقد احتلت كتاباته في هذا المجال أغلب مقالاته في جريدة مخبر والتي جاءت بعنوان (القدرة السياسية في الدول الإسلامية) , إذ كشف فيها سعاوي مفاسد الخلافة كونها لا تستند الى القران والسنة فاضحاً أساليب السلطان في إخضاع الشعب لأوامره لا يضعه موضع الرسول (ص) ولا يعني انه خليفة [٦٦].

وعن صلاحيات حاكم الدولة الملقب بالخليفة في تمثيل كافة المسلمين أشار سعاوي إن السلطان ما هو إلا قائد للمسلمين ينشغل بأمورهم الدنيوية فقط , إذ إن الحاكم في الدولة الإسلامية لا يحمل أي صفة دينية وغير موكل بالأمور الدينية لرعيته , بل هو مجرد قائد سياسي , أما الشخص المختص بالأمور الدينية هم العلماء فقط , ثم أضاف ان الخلافة يختلف مفهومها بين الشعب والعلماء [٦٧], وبذلك نستطيع القول بأن علي سعاوي قد سخّر قلمه لمعالجة علاقة الدين بالدولة التي تتمركز حول عدم اعترافه بإقامة الدولة في إطار مفهوم الخلافة وان الإسلام نفسه لم يحث على ذلك , كما ان إضفاء سمة القدسية على السلطان أو الخليفة أمر غير مقبول , فنجده يصف عمارة " السلطان في مقام الرسول (ص) بالخرافة والجهل " .

٣ – الثورة :

بقدر ما كان علي سعاوي ثورياً فانه دعا " الشعب الى الثورة على ظلم السلطان " , وفي الوقت نفسه أشار الى ان " رجال الدولة يخشون من تعليم الشعب وتثقيفه لأن الشعب المتعلم يكون على درجة من الوعي تجعله يدرك ما له وما عليه وقد يثور على السلطان في أي لحظة [٦٨], وفي ذلك القول ترى اهتمامه بالبعد التعليمي وقضاياه المتعلقة والمستندة الى الدين , لارتباطها الوثيق بالإصلاح التعليمي باعتباره الطريق الأقوم والأضمن في تحقيق الثورة , وان التعليم القائم والمرتبط بالإصلاح الديني والفكري بعد تجديده بواسطة المؤسسات التربوية الحديثة وكذلك المؤسسات التقليدية بعد إصلاحها هي السبيل الوحيد لبلوغ الثورة والتخلص من الفساد والتحرر السياسي والفكري , ويصور ذلك قائلاً ان " رجال الدولة يلهون الشعب ويخدعونه بحجة الإصلاح ويمصون دماء الفقراء بفرض الضرائب الباهظة وتراكم الديون الخارجية على الدولة ولا يتم استثمارها بشكل يخدم مصالح الشعب , بل تنفق على المتعة والسفر ... " [٦٩], وفي ضوء ما نلمسه في داخل المجتمع العثماني , وما استنتجه من أفكارهم استطاع ان يضع خريطة لجمع شتاتهم ,و برنامجاً للاتصال بعقولهم , حتى التف حوله عدد كبير من العثمانيين ومضى مخاطباً السلطان الى حد التهديد قائلاً " يا مسؤولي الباب العالي

استمعوا الى معاناة الشعب المسكين الذي يحفر في الصخر ليحصل على المال ... انتبهوا وإلا سنصبح أعداء ... ولا يرفع الظلم إلا بالثورة ... " [٧٠].

ويبدو انه كان يرى الظلم والتخلف الذي عانت منها الدولة العثمانية , وسببها الضرائب والديون الخارجية , وان التخلص من هذه المشاكل لا يتم إلا عن طريق المعارضة وان لم يستجيب السلطان فالخيار الوحيد هو القوة .

كان سعاوي يجمع بين الثورة والإصلاح فيما يمكن ان تسمية " الإصلاح الثوري " والدعوة الى " الثورة الإصلاحية " لأن الثورة والإصلاح في نظره أمران متلازمان لا يتحقق الهدف إلا بهما , لأنهما عنصران فاعلان في الإصلاح السياسي الذي كان سعاوي يطمح إليه , ومن خلال مقالاته التي مارس في بعضها تحريضات سياسية قوية ضد الحكومة العثمانية قائلاً في هذا الجانب " بضرورة انتفاض الشعوب ضد سياسيات الحكام الظالمة التي قد تسبب في ضياع الدولة واستخدام بعض العبارات المحرضة مثل ما هذا التكاسل والفتور الذي خيّم علينا ؟ ما هذا الخمول ؟ ما هذه الازدواجية , حيث يظهر ثوريته جلية وواضحة , ساخطة على الوضع , مطالباً بالإصلاح الذي يدعو الى تغيير الوضع من حال الظلم الى العدل , ومن الاستبداد الى الشورى والديمقراطية [٧١].

ولا بد ان نذكر هنا صلة الثورة بالشعب , حيث نلاحظ ان سعاوي كان يثق بالشعب وحدهم دون غيرهم , لأن هؤلاء حسب تصوره هم أداة التغيير , وهم المالكون للقدرات الضرورية التي يتوقف عليها تغيير الوضع , اقتصرت كتابات سعاوي في هذا الجانب على مقالين فقط في جريدة مخبر فقد جاء الأول بعنوان " الشعب والعدالة " أكد فيها ان لم تفكر الحكومة في تطبيق العدالة سيضطر الشعب الى اتخاذ كافة السبل للثورة والحصول على العدل , والمقال الثاني بعنوان " التهديد بالثورة " أشار فيها الى التأكيد على إنشاء مجلس شورى وان لم تنفذ الحكومة رغبة الشعب سيأخذ حقه بالقوة [٧٢], مما يدل ان ما كتبه علي سعاوي كانت دعوة للثورة والتغيير .

٤- الديمقراطية :

وضح سعاوي مفهومه للديمقراطية الغربية بأنها شكل للإدارة السياسية ويعني " سلطة الشعب , حكم الشعب لنفسه " التي كان يحكمها الى مبادئها وقيمها التي تنادي بها , ولم يكن علي سعاوي يطلب من الحكومة العثمانية سوى تطبيق المبادئ الديمقراطية المتوافقة مع الفقه الإسلامي , وعن فهمه للنظام الديمقراطي , كتب سعاوي مطالباً بتطبيقها في الدولة العثمانية قائلاً الديمقراطية تعني حكم الشعب للتعبير عن طموحه ... , فقد أكد ضرورة تشكيل آلية رقابية تتمثل في مجلس الشعب (برلمان) من أجل مراقبة السلطان والحد من سلطاته ... , وان الدولة العثمانية يمكنها تطبيق الديمقراطية التمثيلية بإجراء التعديلات على النظام القائم , بهذا الشكل ستضع السلطان ومعاونيه في دائرة المسؤولية وتحمل عواقب أفعالهم ... " [٧٣].

وها نحن نشاهد الجوهر الأخلاقي الذي يشكل أساس الديمقراطية ,و يرى ان هذا الجوهر يتمثل في علاقة الثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم , ويبدو ان سعاوي كان يطالب بتطبيق مبدأ الديمقراطية والمساواة التي استسقاها من الفكر السياسي الغربي , والتي هي في الأصل مبادئ مترسخة ومتأصلة في الدين الإسلامي وتعاليمه منذ زمن بعيد [٧٤].

وفي معرض حثه العثمانيون بضرورة التمسك بميراث الإسلام العظيم , والحفاظ عليه , عرّج على الديمقراطية وقسمها الى نوعين , النوع الأول هو الديمقراطية التي تقوم على حكومة منتخبة من قبل الشعب ويحق للشعب عزلها متى شاء , أما النوع الآخر هو الديمقراطية المطلقة التي لا تعرف حدوداً وقد تتسبب في هدم وتدمير الدولة لكونها لا ترتكز على قيم أخلاقية تنظم حياة الأفراد وتحفظ النظام العام , محذراً من مخاطرها ومزالقها ,, حيث كتب " الفكر الديمقراطي الفرنسي لن يظل حبيساً داخل حدود فرنسا , بل سينتشر عن طريق الصحافة شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً وفي كل أنحاء العالم , وحتماً سيأتي يوماً تتسلسل فيه هذه الأفكار الى استانبول وستتسبب في إشعال الفتنة ... " [٧٥], ويلاحظ ان سعاوي تنبأ بمصير الدولة الإسلامية في حال اقتدت بالغرب وحاولت مواكبة المفهوم الآخر للديمقراطية وسيكون مصيرها الفشل [٧٦].

وعن أهم مبدأ من مبادئ النظام الديمقراطي يتمثل في عدم الفصل بين الديمقراطية والمساواة عن أحكام الشريعة الإسلامية , وقد وضح سعاوي ذلك قائلاً " من الممكن تطبيق الديمقراطية في الدولة العثمانية, لكن تتطلب وعي شعبي لأن غيابه سينتج عنه نتائج عكسية وعواقب وخيمة لوصفه المجتمع العثماني بالكسل والجمود وافتقاده الكثير من المعاني والقيم الأخلاقية وسعيه لتحقيق رغباته الروحية الوهمية وتهميش الواقع بمتطلباته المادية التي لن تتحقق إلا بتحقيق الديمقراطية والمساواة... " [٧٧] .

ان هدف سعاوي في تلك الحقبة هو التخلص من العوائق أمام تحقيق الديمقراطية المتمثلة بالانحلال الأخلاقي للمجتمع , فلذلك كان سعاوي يرى ان وجود رجال الدين يشكّل عامل رئيسي في تحقيق الديمقراطية , حيث وصفهم " بأنهم أشخاص لديهم المهارة لتحقيق الأهداف المنشودة , تؤمن بضرورة العيش داخل مجتمع يقدس القيم الأخلاقية ", ثم ناقش سعاوي مدى إمكانية تحقيق الديمقراطية والمساواة في الدولة العثمانية التي يقطن أراضيها مختلف الأديان والثقافات والأقليات الدينية وقدم نموذجاً ليثبت ان الدولة العثمانية يمكنها تشكيل حكومة تحالف على غرار الحكومات الأوربية [٧٨].

كان اهتمام سعاوي بالديمقراطية استجابة إصلاحية لتأكيد الهوية العصرية للدولة العثمانية , إذ ان الفكرة لاقت تشجيعاً من الشباب وطرحت نفسها بقوة على المجتمع العثماني , إذ ظهرت الدعوة الى الديمقراطية وتحقيقها , مما دعا سعاوي الى تحديد نظرية سياسية قائلة " مهما ازدادت شعبية الأنظمة التي تطبقها الدولة الغربية , لا بد في النهاية ان ننظر الى المسألة بعين الدولة العثمانية , فلكل مجتمع متطلباته

وظروفه وإشكالياته التي لا بد ان تؤخذ بعين الاعتبار عند تحديد شكل الحكم المناسب , وانسب شكل للحكم بالنسبة للدولة في نظره هو النظام الملكي الدستوري " [٧٩].

نستنتج من ذلك ان علي سعاوي هو ذو نزعة أسلامية , فهو يرى إن الحل الأمثل للقضاء على الحكم المطلق المستبد هو استبداله , أما بالنظام الديمقراطي أو بالنظام الملكي الدستوري المشروط , إلا ان الديمقراطية هو شكل الحكم المفضل لديه , لكنه توصل في النهاية بعد الدراسات التي أجراها إنها مجرد وهم وليس لها وجود فعلي على أرض الواقع , لذلك رجح النظام الملكي كأنسب نظام يمكن تطبيقه في الدولة العثمانية نظراً للمساحة الجغرافية الواسعة وانقسام صفوف الشعب بسبب اختلاف الدين والعرق .

٥- الشورى :

الشورى هي عصب الحكم وشريان العدالة في الإسلام , لا يستقيم الحكم إلا بها , لذلك أولاها سعاوي أهمية بالغة في مقالاته , وقد لقيت أفكاره في مجال الشورى قبولاً واسعاً لاستهدافه نظام الحكم السياسي الفردي في الدولة العثمانية , وتقليص صلاحيات وسلطات السلطان ومنعه من التصرف وفقاً لرغباته الشخصية , مما سينقذ الدولة من الوضع المتردي التي أصبحت فيه , ومما يدل على ان آراءه في مجال الشورى انتشرت بصورة كبيرة , إقدام الدولة العثمانية على الوقوف ضده متخذة في ذلك إجراءات مشددة تمثلت بمضايقة سعاوي في استانبول [٨٠].

وانخرط سعاوي في أول حزب سياسي معارض عرف باسم (العثمانيون الجدد) أسس في عام ١٨٦٥ , وكان واحداً من مؤسسيه , والغرض من وجوده فيه هو تبليغ فكرة ان النظام البرلماني الحديث ليس سوى بعث لنظام الشورى الذي كان قائماً في فجر الإسلام , وانه الضمان الوحيد للحرية الى الشعب وتعليمها إياها , أما انخراطه في الحزب فيدل على محاولة ممارسة السياسة بطريقة الشورى , غير ان الحزب كان يضم جناحين مختلفين , جناح المطالبين بعملية تحديث الدولة على أساس علماني جاد , وجناح الليبراليين الذين حاولوا بمفاهيم إسلامية تبرير تبني المؤسسات الغربية , معتبرين ذلك التبني عودة الى روح الإسلام الحقيقية [٨١].

وبعد انتقالهم الى باريس عام ١٨٦٧ قرروا تأسيس جمعية جديدة أطلقوا عليها (جمعية الشبان العثمانيين للشورى) [٨٢], وقد مكنته هذه الجمعية من إصدار مقالات في الحكم الاستبدادي المطلق وما جناه على الدولة العثمانية , كتب علي سعاوي مقالتين رئيسيتين بهذا الجانب في جريدة حريت (الحرية) [٨٣], التي صدر العدد الأول منها في التاسع والعشرين من حزيران ١٨٦٨ , الأولى بعنوان (الشورى والدستور) وتحدث عن انه من نعم الله على المسلمين , وقد أضفى عليه سعاوي طابع الشرعية حيث قارنه مع نظام الشورى الإسلامي , فالدستور يشبه نظام الشورى لأنه يحد من نظام الحكم الاستبدادي , ويلغي نظام الحكم المطلق , أما المقال

الثاني فهو بعنوان (وشاورهم في الأمر) ويؤكد على قيام حكومة دستورية مسؤولة أمام الشعب [٨٤], مما يدل ان ما كتبه سعاوي كانت دعوة للشعب العثماني لفهم الشورى وفق التعاليم والآداب الإسلامية المناوئة لكل استبداد .

٦- دور الشريعة في إصلاح الفرد :

كان علي سعاوي يرغب ان تنتهج الدولة العثمانية في حكمها قواعد المنهج الإسلامي في الحكم والإدارة , وقد كان تفكيره هذا يتجه الى أبناء المجتمع العثماني وضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية التي سيكون بها إنقاذ المجتمع من واقعه المتخلف , وهو كغيره من الذين لا يجدون سبيلاً للإصلاح في غير تطبيقها [٨٥].

وإمعاناً في تأييد علي سعاوي لقوانين الشريعة الإسلامية ونظم الإدارة لمؤسسات الدولة العثمانية التي تقوم على هذه القوانين , جاء رفضه لمحاولة تخريب تلك المؤسسات رفضاً تاماً لإيمانه الشديد بإصلاح نظم هذه المؤسسات التي تقوم على تطبيق الشريعة الإسلامية , وعن دور الشريعة الإسلامية في الإصلاح , كتب قائلاً " ان السياسة الإصلاحية العادلة هي التي تستمد قوانينها وأحكامها من الشريعة الإسلامية ... " [٨٦], ويبدو ان سعاوي قد شخص العلل التي كانت تنخر المجتمع العثماني وهي ابتعاده عن الشريعة الإسلامية ولذلك دعا مجتمعه الى ضرورة الرجوع والتمسك بها ولا يمكن تصور الحياة السياسية بمنأى عن الشريعة الإسلامية , والجدير بالذكر ان سعاوي كان يرى انه لكي يتوفر لحركة الإصلاح السياسي بشكل عام عناصر نجاحها يجيب ان تستند على قاعدة درى المفاسد وحفظ المصالح والحرص على الفقه والأصول [٨٧].

ويؤكد علي سعاوي في مفهومه الإصلاحي الذي يرغب به يكون مستمد من الشريعة الإسلامية , وذلك حين يجمع بينها وبين ما خالفها من القوانين الوضعية والأحكام العلمانية , فالشريعة في نظره تحوي أصولاً جامعة , صالحة لأي إنسان كان في أي زمان ومكان , وجاءت لتخلص الإنسان من الظلم , والحكومة التي تنشأ في المجتمع والتي تسهر على مصالح الناس , إنما هي حكومة مقيدة بالأحكام الشرعية التي تضبط العدل والشورى [٨٨].

وقد أوضح سعاوي أهمية الشريعة الإسلامية في الإصلاح السياسي والاجتماعي في جوانب متعددة منها :

١- التأكيد على تكامل قواعد الشريعة الإسلامية وشموليتها .
٢- استحالة إعادة إصلاح البشرية بغير تطبيق الشريعة الإسلامية .
٣- مناهضة الظلم والاستبداد بالعدل والتسامح والشورى .
٤- مخاطر تعطيل تطبيق الشريعة الإسلامية على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع الذي تكون نتيجته الطبيعية والمنطقية الفوضى الأخلاقية الشاملة التي تعم البشرية قاطبة .
٥- محاربة الجمود والتقليد والكسل وذلك بتفعيل الاجتهاد والفهم السليم للنص [٨٩].

مما تقدم يمكن ان نعد علي سعاوي من المفكرين المصلحين الذين شخصوا علل المجتمع العثماني من تخلف وجمود نتيجة ابتعادهم عن تطبيق الشريعة الإسلامية .

خامساً - نتاجه الفكري :

تدل مؤلفات سعاوي وكتاباته على ان لديه شغفاً معرفياً متنوعاً , فهو يستطيع الكتابة والقراءة والتحدث بالتركية والعربية والانكليزية والفرنسية , فكان نتاجه على شكل كتابات ومقالات سياسية وفكرية تعبر بصدق عن أفكاره وآرائه , إلا إننا لم نعثر إلا على النزر القليل مما تركه على الرغم من اشتغاله بالتدريس ومسيرته في الحركة الإصلاحية الحافلة بالنشاطات والعمل لنشر العلم ومكافحة الأمية بين صفوف العثمانيين وإصلاح حالهم تدريجياً وفق خطة منهجية محكمة [٩٠], ولعل من أبرز المؤلفات التي قدمها علي سعاوي كانت تحت عناوين مختلفة وكالاتي :

دفتر أعمال الصدر الأعظم علي باشا , الخلية , الحوليات ١٨٧١ – ١٨٧٣ وهي ثلاث حوليات كتبها سعاوي خلال إقامته في باريس الأولى (تركيا ١٨٧١) , والثانية (تركيا ١٨٧٣) , والثالثة (مصر ١٨٧١) , تاريخ جزيرة كريت , علم أصول الحقوق , هوامش وتعليقات على كتاب (تقويم التواريخ) لحاجي خليفة ولم يكمله , ترجمة كتاب (مختصر إحياء علوم الدين) عن الفارسية , ترجمة رسالة في أصول الفقه من العربية الى التركية , وكتابه الشهير (قاموس العلم والمعارف) في خمس مجلدات باللغة التركية مرتبة حسب الحروف , إذ عدّ من المصادر التاريخية المهمة , وهو من أفضل آثاره التاريخية , إلا انه لم يتمكن من إكماله , ولاهتمامه بالمعرفة والعلوم , ومعرفته العربية , ترجم جزء من كتاب (حقوق الشوارع) للغزالي للغة التركية , ونقل رسالة في أصول الفقه من العربية الى التركية [٩١].

نستخلص من ذلك ان علي سعاوي ترك آثاراً من نتاجه الفكري على مستوى حركته الإصلاحية والفكرية , فلم يكن هناك في وقته شخصاً تمتع بالتقدير والاحترام نفسهما الذي تمتع به سعاوي , فكان رجال السياسة يهابونه , ورجال الدين يحترمونه , وبقي رمزاً على الرغم من تبدل الظروف والأحوال .

سادساً – اغتيال علي سعاوي (حادثة جراغان) :

اجتمعت جملة من العوامل عجلت بتصفية علي سعاوي من ساحة العمل السياسي والإصلاحي داخل الدولة العثمانية أهمها مواقفه السياسية التي لا تعرف المهادنه ولا المساومة مع حكومة السلطان عبد الحميد الثاني , لا سيما بعد فشل الأخير بإقناعه بالتراجع عن خيار المعارضة والتصدي لحل مشاكل الدولة العثمانية , فضلاً عن توتر العلاقة بين سعاوي والسلطان العثماني الذي عمل على كسب مؤيدي سعاوي من أهالي استانبول , ولا سيما الصرافيين من الأقليات غير المسلمة وكذلك مع المسلمين من غير الأتراك للتخلص منه بسبب عدم تحملهم انتقاداته لهم واعتراضه على تدخلاتهم بأمور الدولة كافة [٩٢].

ومن العوامل التي عجلت بقتله المقالة التي نشرها في ١٩ آذار ١٨٧٨ قبل اغتياله بيوم واحد , إذ انتقدت جريدة بصيرة ممارسات الحكومة العثمانية , واتخذت من السلطان عبد الحميد الثاني مثالاً للهيمنة

والاستبداد , واصفة الوضع العام في الدولة العثمانية في مقالته بأنه " وضع حرج أصاب البلاد ... وأصبح حديث الناس , ليس لدي أدنى شك ان الجميع سيستمع لكل شيء سأقوله ... انطلاقاً من أمانتي وشعوري بالمسؤولية تجاه عامة الشعب بسبب المشاكل التي تشهدها بلادنا ... لكن حلها بسيط يتمثل بعرض وشرح هذا الحل باختصار ان مقالة اليوم ما هي إلا رسالة الهدف منها جذب انتباه الرأي العام العثماني ليبقى متشوقاً لما سأقوم بنشره غداً.. "[٩٣].

وعلى الرغم مما تقدم فلم يكن من السهل على السلطان عبد الحميد الثاني اعتقال سعاوي بتهمة التعاون مع المعارضين في الأحياء الفقيرة ضد الدولة العثمانية , بسبب المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها لدى أبناء المجتمع العثماني , مدركاً بأن ذلك سوف يلهب حماس الناقمين والغاضبين للثورة على الدولة العثمانية [٩٤], وفي الوقت نفسه كان من الصعب على السلطان العثماني – بعد ان عجز عن إقناعه واستمالته لجانبه – تركه يستمر في إلقاء خطبه الثورية الحماسية لتغير السلطان بعد ما ظهر ضعفه أمام الدول الأجنبية , ولا سيما ان خطبه أخذت تنشر بكافة أرجاء الدولة العثمانية ,' لذا حاولت الحكومة العثمانية التخلص منه بطريقة غير مباشرة , إذ كلفت إحدى الوحدات البوليسية التابعة لتشكيلات أمنية سرية , والمرتبطة بالسلطان عبد الحميد شخصياً يطلق عليها بـ (الخفية)[٩٥] , للقيام باقتحام قصر جراغان بالعاصمة استانبول للإفراج عن السلطان مراد الخامس وتنصيبه ثانية بدلاً من السلطان عبد الحميد الثاني , وبصحبتهم علي سعاوي إلا ان رئيس شرطة بشيكطاش حسن باشا انتهز فرصة الهجوم وقتله في ٢٠ آذار ١٨٧٨ [٩٦].

وسوف نوضح مجريات الحادثة , ففي يوم السبت المصادف العشرين من آذار لعام ١٨٧٨ , اقتحم سعاوي مع مئات من مهاجري البلقان ومن بينهم جماعة " الخفية " بشكل منظم قصر جراغان بعد ان حطموا نوافذ وأبواب القصر الذي يسكن به السلطان مراد الخامس , فقام سعاوي بالتسلل الى غرفة حريم السلطان مراد , وقد وجده في فراش المرض , ثم أمسك بيده في محاولة لإخراجه من القصر وهو يردد " عاش السلطان مراد "[٩٧], فتصدى له حسن باشا وضربه بقضيب على رأسه فقتله , واخذ الحراس والشرطة يهرعون من البحر والبر يحاصرون المهاجرين ويطلقون النار عليهم ويقتلون بعضهم ويلقون القبض على الباقين , فقتل ٢٣ مهاجراً وجرح ١٥ منهم , أما الناجون فتمت محاصرتهم من قبل الجند والقبض عليهم ومحاكمتهم صورياً في ديوان حرب عرفي (المجلس العرفي العسكري) , ولكن لم يصدر أي حكم بالإعدام على أي واحد منهم , وهذا يدل على الحقد الكبير الذي يحمله السلطان عبد الحميد الثاني لسعاوي صاحب المواقف المتصلبة تجاه استبداد وظلم الحكم الحميدي [٩٨].

في البداية لم يعرف من كان وراء تلك الحادثة , هل هي تدبير من السلطان عبد الحميد الثاني , أو جمعية اسكودار السرية [٩٩], التي استطاع ان يتعزز نفوذها داخل الدولة العثمانية , وصارت تلك الحادثة سبباً لتبادل

التهم بين الطرفين , وعلى اثر نتائج لجنة التحقيق لتحليل الحادث وربط الأحداث ببعضها البعض ومحاولة الخروج بكل النتائج المحتملة , اتخذ الديوان الحربي قراره في الرابع من حزيران ١٨٧٨ بإعادة محاكمة الجناة مرة ثانية لإبعاد الشبهة عن السلطان عبد الحميد الثاني بإلقاء القبض على الجناة [١٠٠], وتم في التاسع من حزيران من الشهر نفسه اصدر قراراً بشأن المتهمين والمتورطين بالحادث وكان الجزء الأخير من القرار كالتالي " ... انه وفقاً لم تم استنتاجه من الأحداث والتفاصيل , فقد ثبت تورط حافظ باشا المقرب من السلطان بالحادث بصورة مباشرة وانه المدبر والمحرض الأول , وعليه فقد حكم عليه بالإعدام وذلك وفقاً للمادة الخامسة والخمسين من قانون العقوبات , وثبت تواجد كلاً من احمد باشا وحافظ علي وحاجي محمد آغا في الجمعية السرية التي خططت للحادث , وعليه فقد حكم على احمد باشا بالنفي المؤبد الى كوتاهيه وعلى حافظ علي وحاجي محمد آغا الى بوصا , كما أثبتت التحقيقات ان نوري بيكَ وعزت باشا زاده سليمان قد اختلفوا مع علي سعاوي وكانوا متواجدين بجوار مكان الحادث [١٠١], مما يدل على معرفتهم المسبقة بوقوع الحادث , وعليه فقد حكمت المحكمة عليهم بالإقامة الجبرية في جزيرة رودوس لمدة ثلاث سنوات [١٠٢], وقد تبنت جمعية اسكودار السرية خبراً مفاده ان الهدف لم يكن قتل علي سعاوي , وإنما هو حركة انقلابية منظمة لكن فشلت لأنها لم توفق في اختيار التوقيت المناسب .

ذكر المستشرق شريف مردين Serif Mardin ان السلطان عبد الحميد الثاني لم يتخذ الإجراءات اللازمة , على الرغم من علمه بالحادثة في لحظة وقوعها , وبهذا الخصوص عبر المبغضون لـ (علي سعاوي) ولا سيما من ذوي الميول الإسلامية بقولهم المتشددة " لا تعتقدون ان الخائن يلقى السعادة أبداً أما ان تقطع رأسه وأما أن يصلب " , لما اقترفه من فساد وخيانة عندما ارتضى لنفسه أن يكون أداة بيد البريطانيين لكونه أحد المؤيدين لاتفاقية قبرص ١٨٧٨ [١٠٣].

لقد ظهرت الشائعات عن اتهام جمعية اسكودار بقتل علي سعاوي , ذلك ان احد أعضائها كان قد استلم رسالة من السلطان مراد الخامس , طالباً المساعدة لإعادته للحكم , غير ان الراجح هو ان احد رجال السلطان العثماني حافظ نوري باشا كان قد خطط لاستجار بيت بجوار قصر جراغان , ليستغل هجوم المهاجرين على القصر بعد ان تم خداعهم لقتل سعاوي لأنه خائن للدولة [١٠٤] .

أما رأي السلطان عبد الحميد الثاني بمقتل سعاوي , , فيتضح من خلال ما ورد في مذكرات السلطان عندما سئل عن مقتل سعاوي قال " لقد تم ضرب سعاوي وقتله من طرف جمعية اسكودار لأجل التخلص من شهرته وسمعته كواحد من رجال الدولة العليا الأجلّاء وأحد قامات العلماء الأفاضل ... [١٠٥].

أما المؤرخ العثماني علي كمال ميريام Ali Kemal Meram فقد ذكر ان سعاوي قد اقترف أخطاء عديدة تمثلت بإثارة التعصب بين المسلمين حيث كان يعتلي منابر بعض المساجد ويلقي فيها الدروس والمواعظ محاولاً

إشعال الفتنة في استانبول , وكان يتبنى بعض الأفكار الليبرالية رغم انه كان يتردد على المدارس الدينية , ولكنه بعد ان عاد الى استانبول تغيرت لديه بعض المفاهيم , واخذ يسعى لتجديد العلوم الإسلامية سواء العقلية أم النقلية , وهدف التجديد عنده سياسي – اجتماعي – ديني , وهو يرى ان التجديد ثورة باسم الدين وليس على الدين , ويتضح ان اهتماماته بتحرير الفكر الديني من قيود الجمود والتقليد هو أساس مشروعه الإصلاحي التجديدي .

وقد حدد سعاوي أبرز معالم حركته التجديدية بقوله " بأنها عبارة عن الاهتمام بقلع ما رسخ في عقول المسلمين من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها " [١٠٦], ونتيجة لتلك الأفكار قررت جمعية اسكودار قتله , ولا يستبعد الباحث ارون جونسون Aron Johnson مشاركة بريطانيا في عملية اغتيال سعاوي , لأنها أدركت إن هذا الرجل قد يتمكن من لم شمل الإمبراطورية العثمانية من خلال أفكاره , مما يعرقل حصول بريطانيا على أطماعها في جزيرة قبرص مقابل تقديم العون والمساعدة الى الدولة العثمانية [١٠٧] , ويرى المؤرخ حسين جليك Huseyin Celik انه لو لم يقتل سعاوي لكانت الفرصة متاحة له لتنفيذ أفكاره التي كان ينشرها على أرض الواقع , ويعتلي منابر جوامع السلاطين في استانبول لإلقاء الخطب والدروس والمواعظ [١٠٨] , ليفجر الحماسة لدى الشعب ويقوي نوازع الانتماء الوطني أثناء الحرب الروسية – العثمانية (١٨٧٧ – ١٨٧٨) [١٠٩]من خلال مقالاته في الصحف , عندما أشار الى ان الدولة العثمانية أقوى من روسيا وبريطانيا لأنه كان يؤمن بذلك [١١٠], وهنا قد لا يتفق الباحث مع المؤرخ حسين جليك لأن انصياع سعاوي خلال الأحداث الماضية لأفكار وتوجهات السياسة البريطانية وطبيعة علاقته بالساسة البريطانيين واضحة , وكان يعتقد ان الدولة العثمانية لا يمكنها التقدم إلا بمساعدة بريطانيا [١١١].

وبذلك نستطيع القول بناءاً على ما تقدم بخصوص حقيقة قتل علي سعاوي لا سيما بعد كشف هذه الأدلة وصحتها بأن السلطان عبد الحميد الثاني وتحديداً الفرقة الاستخباراتية (الخفية) هي المسؤولة عن قتل سعاوي , وذلك لان البريطانيين قد خططوا مسبقاً بالتعاون مع سعاوي من أجل السيطرة على جزيرة قبرص , الأمر الذي دفع السلطان عبد الحميد الثاني للتخلص منه بحجة انه كان جاسوساً لبريطانيا بالتعاون مع جمعية اسكودار, التهمة التي لا دليل يؤكدها , لأنه طيلة حياته كانت آرائه وأفكاره السياسية والإصلاحية في كافة المجالات صادقة ولا يرجو منها إلا رضا الله وإخلاصه لبلاده وللفكرة الإسلامية حتى آخر حرف كتبه بقلمه .

الخاتمة :

فلقد وجدنا في نهاية دراستنا والرؤية التاريخية لشخصية علي سعاوي أحد كبار المفكرين والمصلحين في الدولة العثمانية انه كان ولا يزال رجل متجاذب من جانب الرؤية التاريخية في سيرته وآرائه ومؤلفاته وفي تناقض رؤية المؤرخين الأتراك المحدثين والمعاصرين له .

ومن ثم لا نستطيع إلا أن نجعل من سيرته التاريخية المتناقضة بين الفهم وسوء الفهم وذلك يعود الى دراسة الفترة العثمانية من قبل الباحثين والمختصين بالشأن العثماني , فهؤلاء ينظرون الى شخصية سعاوي كشخصية ايجابية , ولكن بصورة عامة نستطيع القول ان سعاوي كان من الشخصيات المهمة والمؤثرة في الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني , وهذا يبين انه كان المفكر والمصلح والصحفي والسياسي الذي ترك بصماته الواضحة في كافة مجالات الحياة السياسية والثقافية والعلمية وكان له أثره الفاعل والمؤثر في الأحداث داخل الدولة العثمانية.

الهوامش

(*) لقب علي سعاوي بعدة ألقاب , منها على أفندي , وذلك لأنه كان يعمل في عدّة وظائف , وعرف بسجلات الإدارة العثمانية الأمنية بالحاج لأنه ذهب للحج , فضلاً عن سعاوي وهو اللقب الذي شاع وعرف به , وقد جاءت هذه التسمية نسبة الى والده بياع الورق الذي كان دائم التجوال والتنقل سعياً لطلب الرزق في أنحاء استانبول .

(١) Mithatcemal kuntay , Sarikl Ihtilalci Ali Suavi , Istanbol , 2014 , S. 245 .

(٢) المعلومات عن أمة قليلة وهي غير معروفة الاسم . ينظر :
Huseyin celik , Ali Suavi , Kultur Bakanlig yayinlari , Ankara , 1993 , S. 278 .

(٣) Cavit Orhan Tutengil , Yeni Osman;I;ar'd an Bu Yana Ingiltere'd Turk Gaztecilig: (1867 – 1967) Istanbul , 1985 , S. 134 .

(٤) Ismail Hami Danismend , Ali Suavinin Turkculu gu , Istanbul , 1942 , S. 10 .

(٥) Tutengil , A , G , E , S. 136 .

(٦) Kuntay , A . G . E . S. 248 .

(٧) Celik , A , G , E , S. 280 .

(٨) Dani smand, A. G. E, S. 15 .

(٩) Belikis smend , Nalcioglu , Osmamli'da Muhalif Basinin dogusu ,Istanbul , 2018 , S.136

(١٠) Tuteng , A. E, S. 139 .

(١١) A. G. E, S. 140 .

(١٢) Orhan Kologlu , Osmamli'da 21. Yuzlyila Pasin , Istanbul , 2015 , S.50

(١٣) A. E, S. 55 .

(١٤) Hüseyin Celik Ali Suavi ve Donemi, Istanbul, 1994, S. 130 – 131 .

(١٥) Kuntay, A. G. E. S. 86 – 87 .

(١٦) Necmi Günel, Ali Suavi, Mesrutiyet öncesi Fikir Akimilari , Istanbul,2011, S.19 – 20

(١٧) Cyril Glasse. , The New Encyclopedia of Islam , New York, 2003, P. 220 – 223 .

(١٨) I bid , P. 228 .

(١٩) Roderic H. Davison, Reform in the Ottoman Empire 1856 – 1878, New Jersey, 1963, p. 44 – 46

(٢٠) Serif Mardin, Religion and social change cu Modern Turkey, New York, 1984, p. 89-90

(٢١) Davison, op.cit, p.55 – 57 .
(٢٢) Mardin , op.cit, p.92 – 93 .
(٢٣) Dagunsa Ali pasa Islam Ansiklopedisi , Cilt. 1 , Istanbul, 1978 , S. 338 .
(٢٤) Glasse, op. cit. , p. 270 – 273.
(٢٥) Serif Mardin, The Genesis of Young Ottoman Thought. A study in the modernization of the Turkish Political Ideas, New Jersey, 1962 , p. 250.
(٢٦) Ideas , p. 253
(٢٧) Kemal H. Karpat , The Politicization of Islam : Reconctructing Identing state Faith and Community in the late Ottoman state , New York , 2001 , P. 129 – 130 .
(٢٨) Ibid .
(٢٩) AaronS. Johnson , A revolutionary yong ottoman Ali Suavi (1839 – 1878) , Unpublished Doctorat's The sis Montreal , 2012 , P. 36 – 37 .
(٣٠) Ibid , P. 45 .
(٣١) عبد الرحمن سامي باشا (١٧٩٤ – ١٨٨٢) هو سياسي عثماني من كبار ولاة الدولة العثمانية , تولى العديد من المناصب الحكومية ومنها والي بورصة (١٨٦٠ – ١٨٦١) , للمزيد ينظر :
Davison , OP. cit … , P. 60
(٣٢) يطلق عليها في المصادر العثمانية فيليبة (Phillipa) مركز الروملي الشرقية , فتحها مراد الأول (١٣٦٠ – ١٣٨٩) في عام ١٣٦٤ وهي اليوم جنوب تركيا .
(٣٣) Johnson , op. cit , P. 60 – 62 .
(٣٤) Bernard Lewis, The Emergence of Modern Turkey , New York, 2002, p.121 – 122 .
(٣٥) Ibid , P. 130 – 132 .
(٣٦) بروس لي محمد طاهر عثمانلي , ج١ , استانبول , مطبعة عامرة ١٣٣٣ ه / ١٩١٤ م , ص٢٥ – ٢٦ .
https : // archive .org / download / osmanlimelliflo2 bours / osmanlimelliflo2 burs. pdf
(٣٧) صحيفة مهمة أسسها علي سعاوي , وفيها كان ينشر محتوى ثورياً يحمل انتقادات لأهم رجال الدولة العثمانية آنذاك , ووجهت له العديد من التهديدات للتوقف عن الكتابة والنقد ولكنه لم يأبه لذلك , انظر : محمد الرميزان , التطور التاريخي للصحافة التركية منذ بدايتها وحتى اليوم الحاضر , الرياض , ٢٠١٩ , ص١٢ .
(٣٨) Ahmed Emin Yalaman , The Development of Modern Turkey as Measured by its press , 2017 , p. 35
(٣٩) Ibid , P. 37 – 38 .
(٤٠) مصطفى فاضل (١٨٢٩ – ١٨٧٥) أخو الخديوي إسماعيل حاكم مصر (١٨٦٣ – ١٨٧٩) وكان الوريث الشرعي له , تولى مناصب إدارية مهمة في الدولة العثمانية , حتى صدور فرمان الوراثة في عام ١٨٦٦ الذي تضمن انتقال الحكم في مصر من الأب الى الابن فحرم مصطفى من حقه في حكم مصر , فباع أملاكه وسافر الى باريس وظل ناقماً على السلطان عبد العزيز (١٨٦١ – ١٨٧٦) , وبالتالي انظم الى صفوف المعارضين للحكومة العثمانية وانتقد نظام الحكم فيها , ودعا الى الإصلاح وإقامة حكم دستوري , انظر : دومون , فترة التنظيمات ١٨٣٩ – ١٨٧٨ , تاريخ الدولة العثمانية , إشراف روبير مانتران , ترجمة بشير السباعي , ج٢ , القاهرة , ١٩٩٣ , ص٧٦ – ٧٧ .
(٤١) التفاصيل عن هروب علي سعاوي الى باريس , ينظر :
Yalaman , op. cit. , p. 50 – 53 .
(٤٢) Erik J. Zurcher , The Young Turkey lrgacy and Nation Building , London 2010 , p. 40 – 41 .
(٤٣) Ibid , P. 46 .

(٤٤) شعر علي سعاوي بضغط الحكومة العثمانية عليه , وزيادة الرقابة الحكومية على الصحافة وتحذيراتها وتعليقها عمل الكثير من الصحف , لا سيما في أوقات الاضطرابات الداخلية , لذا قرر الكثير من المحررين ان يهربوا من اسطنبول , وفر بعضهم الى أوربا , وخاصة لندن وباريس , ومن هناك استطاع سعاوي وأصدقاؤه ان يديروا صحيفة " مخبر" عن طريق أخرى كانت اقل أهمية منها في البداية واسمها " علوم " صدرت بين عامي ١٨٧٠ و ١٨٧١ ومن الخارج كانت آلاف النسخ ترسل دورياً الى استانبول وغيرها من المدن , ينظر :
Yalaman , op. cit. , p. 37 – 39 .

(٤٥) Celik , Ali Suavi ve Donemi , S. 140 .
(٤٦) Celik , Ali Suavi Kultur Nakanlig , S. 295 – 297 .
(٤٧) Dani smenf , A, G. E. S. 30 – 32 .
(٤٨) Naxile Abbash , Ali Suavi nin Dusunce Yapisi , Istanbul , 2002 , s. 40 – 42 .
(٤٩) Huseyin Celik , Ali Suavi Hayati ve Eserleri , Istanbul 1991 , S. 433 .
(٥٠) Abbash , A. G. E. , S. 46 .
(٥١) Yalaman , OP . CIT. p. 59 – 60 .
(٥٢) Danismend , A. G. E. , S. 40 – 42 .
(٥٣) Sami Erdem, Ali Suavinin usul-i Fikh'a Dair Bir Risalesi : Arabi Ibate usulü Fikh Nam Ringkan Tercümesi, Divan.2, Istanbul , 1998 , S. 287 – 290 .
(٥٤) Celik, Ali Suavi Hayntive Eserleri , S. 445
(٥٥) Zürcher, op. cit. , p. 70 – 72 .
(٥٦) Kuntay, A.G.E, s. 256 – 257.
(٥٧) Davison, op. Cit., P. 50 – 51.
op. Cit., P.100 – 102 .
(٥٨) Mardin, Religion and social change in modern , p. 100 – 102 .
(٥٩) Dagunsu, A. G. E. , S. 344 .
(٦٠) Johnsong op.cit., P. 70 – 72 .
(٦١) Günel, A. G. E. , S.35 – 36 .
(٦٢) Celik, Ali Suavi Hayative Esaleri, S.450 .
(٦٣) Johnson, op. cit. , p. 80 – 81.
(٦٤) Erdeiny A. G. E. , S. 295 .
(٦٥) TuTen Gil, A. G. E. , S. 200 .
(٦٦) Nalcioglu, A. G. E. , S. 145 – 146.
(٦٧) Karpat, op. Cit., P. 146 – 148.
(٦٨) Johnsoll, op. Cit., P. 90 – 91
(٦٩) Danismend , A. G. E. , S. 46 – 47.
(٧٠) Kuntay, A. G. E. , S . 259 – 260.
(٧١) Abbash, A. G. E. , S. 50 ; Celik, Ali Suavi, Kültür Bakanlig Yayinlari S. 290 .
(٧٢) Celik Ali Suavi ve Donemi, s. 140 – 142 .
(٧٣) يوسف نعمان معلوف , خزانة الأيام في تراجم العظام , ب. م. , ١٨٩٩ م , ص٢٢٦ .
(٧٤) J. H. Kramers, Ali suavi Pashi, The Encyclopae die of Islam (New Edricom), vol. IX, London, 194 , P.737.
(٧٥) I bid, p. 738 .
(٧٦) All Kemal Meram, Turkculuk ve Turkculuk Mucadeleleri talihi, Istanbul, 1969, S. 150.

(٧٧) A. E , S. 153 – 154.
(٧٨) Omer Yazans & Maulut kaya, Ali Suavi ve Muhasebe ögretimi Fenn – 1 Tanzimidefter (1869) Journal of Intertional Social Rescath, Volume 10 , 2017 , P. 1178 – 1179 .
(٧٩) Arastirma Makalest, Ali Suavi Hedeflenen Değişimy , International Social Sciences Studies Journal , Vol 5 , 2019 , P. 2310 – 2311 .
(٨٠) McRam, A. G. E , S. 155 – 156.
(٨١) للمزيد من التفاصيل عن العثمانيون الجدد ينظر :
محمد عصفور سلمان , العثمانيون الجدد أفكارهم الإصلاحية ودور نامق كمال في بلورتها , مجلة ديالى , العدد ٤٩ , ديالى , ٢٠١١ .
(٨٢) للمزيد من المعلومات عن جمعية الشبان العثمانيين للشورى , يراجع :
Erdem , A. G. E. , P. 297 ; Kramers , op. cit. , p. 745 .

(٨٣) صحيفة أصدرها علي سعاوي في باريس هو ورفاقه كانت اقل أهمية في بداياتها , للمزيد من التفاصيل , ينظر :
Kenan Demir, osmanli'da Basin in Dogusu ve Gazetekr Sosyal Bilimler Dergisi Sayi , no. 5 , 2014 , S. 57 – 88 .

(٨٤) Demir , A. G. E. , S. 90 – 92 .
(٨٥) Yazanard Kaya, op. cit. , p. 1183 .
(٨٦) Makalesi, op. cit. , p. 2311 – 2313 .
(٨٧) MeRam, A. G. E. , S. 160 – 162.
(٨٨) معلوف , المصدر السابق , ص٢٣٠ – ٢٣١ , ينظر :
Kuntay , A. G. E. , S. 2656
(٨٩) Danismend, A. G. E. , S. 456 ; Johnsang op. cit. , P. 80 .
(٩٠) Celik, Ali Suavi S. 2016 Celik, Ali Suavi ve Donem, S. 160 .
(٩١) Kervan Yayinlari, Türk Milliyetciliginin Dogusu (1876 – 1908), Istanbul, 1979, S. 70 – 73 ; Abbash , A. G. E. , S. 60 – 62 .
(٩٢) Yazand and kaya , op. sit. P. 1190 ; Makalesi , op. cit. p. 2320 .
(٩٣) Yayinlari , A. G. E. , S. 69 – 71 .
(٩٤) Demir , A. G. E. , S. 100 – 102 .
(٩٥) هي فرقة استخباراتية سرية أنشأها السلطان عبد الحميد الثاني , مكونة من مجموعة من المرتزقة , مهمتها القيام بعمليات الخطف والقتل للناشطين العثمانيين , للمزيد ينظر :
Celik , Ali Suavi Hayative Eserleri , S.450 .

(٩٦) محمد حرب , مذكرات السلطان عبد الحميد , ط٣ , دمشق , ١٩٩١ , ص٢٠ ؛ سعيد احمد يرجاوي , الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري , بيروت , ١٩٩٣ , ص٢٦ .
(٩٧) Suleyman kani irtem , Sultan Murad ve Ali Suavi Olayi , Hzlosman S. Kocahanoglu , Istanbul , 2003 , S.100 – 103 .
(٩٨) سلماز اوزتوتا , تاريخ الدولة العثمانية , ترجمة عدنان محمود , مراجعة وتنقيح محمد الانصاري , المجلد الثاني , اسطنبول , ١٩٩٠ , ص٧٩ .
(٩٩) وهي جمعية سياسية كانت مؤلفة من بعض المتعلمين من الترك والعرب , كان هدفها الاساسي الاطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني , وجعل الحكم شورى في الدولة , واعادة العمل بالدستور , والسعي لمحاربة الحكم المطلق للسلطان عبد الحميد واستبداده , للمزيد ينظر :

Lewis , op. cit. P. 125 – 126 .

(١٠٠) Ertem , A. G. E. , S. 170 – 173 .

(١٠١) Demir , A. G. E. , S. 110 – 111 .

(١٠٢) Kani , A. G. E. , S. 107 – 108 .

(١٠٣) للمزيد من التفاصيل عن اتفاقية قبرص , ينظر : يوسف حسين يوسف , بريطانيا واتفاقية قبرص ١٨٧٨ , مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية , مج ٢١ , العدد الاول . فلسطين , ٢٠١٣ .

(١٠٤) Kani , A. G. E. , S. 110 – 111 .

(١٠٥) حرب , المصدر السابق , ص٢٣ – ٢٤ .

(١٠٦) Meram , A. G. E. , S. 170 – 173 .

(١٠٧) Johnson , op, . cit. , p. 80 – 82 .

(١٠٨) Celik , Ali Suavi kultur Bakanlig , S. 295 – 296 .

(١٠٩) هي آخر الحروب الروسية ـ العثمانية , ترجع أسباب اندلاعها الى نمو الروح القومية لدى شعوب البلقان ورغبة روسيا في استعادة خسارتها في حرب القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦) السياسية الهادفة الى تحرير البلقان من الحكم العثماني , انظر :
M. S. Anderson , The Eastern Question 1774 – 1923 , New York , 1966 , p. 201 – 202 .

(١١٠) Celik , A. G. E. , S. 297 .

(١١١) Lewis , op, . cit. , p. 150 .